جَذْوَى . وَكَادَ يَقْضِى عَلَيْهِ الْيَاسُ لَوْلاَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ الْخَاتَمَ الَّذِى فى إِصْبَعِهِ ، فَحَرَّكَهُ ؛ فَظَهَرَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ . فَقَالَ لَهُ علاء الدِّينِ : « إِنِّى أُرِيد أَنْ تُعِيدَ الْقَصْرَ فَوْرًا إِلى مَكَانِهِ . » فَقَالَ لَهُ الْعِفْرِيتُ : « لاَ قُدْرَةَ لى عَلَى ذٰلِكَ يا سَيِّدِى ! فَهٰذَا مِنْ شَأْنِ خَادِمِ الْمِصْبَاحِ . » فَقَالَ لَهُ علاء الدِّينِ . « إِذَنْ خُذْنِى إِلى حَيْثُ يَقُومُ الْقَصْرُ الآنَ ! » وَمَا كَادَ يَنْتَهِى الْحَدِيثُ ، حتى كَانَ علاء الدِّين ، فى أَفْرِيقِيَّةَ ، أَمَامَ قَصْرِهِ ، بِخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ . وَرَآهُ أَحَدُ الْخَدَمِ ، فَطَيَّرَ الْخَبَرَ إِلى الأَمِيرَةِ ، فَأَطَلَّتْ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَهِىَ تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ؛ وَلَمَّا رَأَتْ علاء الدِّينِ ، أَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَجِىءَ إِلَيْهَا سَرِيعًا ، مِنْ بَابٍ سِرِّىٍّ بِالْقَصْرِ ، حتى لاَ يَرَاهُ السَّاحِرُ الْمَكَّارُ . وَاسْتَقْبَلَتْهُ الأَمِيرَةُ ، فى الرَّدْهَةِ الْكُبْرَى ، فَتَعَانَقَا طَوِيلاً ، وَسَالَتْ دُمُوعُهَا ، مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ بِاللِّقَاءِ بَعْدَ الْفِرَاقِ ، وَبَعْدَ أَنْ تَحَادَثَا قَلِيلاً ، نَهَضَ علاء الدِّينِ قَائِلاً : « بَقِىَ عَلَيْنَا وَاجِبٌ خَطِيرٌ ! فَنَحْنُ الآنَ أَمَامَ عَدُوٍّ ماكر ، وَلاَ بُدَّ لِلْخَلاَصِ مِنْهُ ، مِنْ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ ، وَتَفْكِيرٍ وَتَدْبِيرٍ . »

(يتبع)

روبنصن كروزو

— ٢ —

وَانْقَضَى شَهْرٌ ، لَمْ أَسْتَطِعْ فِى أَثْنَائِهِ ، الْخُرُوجَ مِنْ خَيْمَتِى ؛ إِلاَّ قَلِيلاً . لأَنَّ الأَمْطَارَ ، كَانَتْ تَتَسَاقَطُ بِدُونِ انْقِطَاعٍ وَاعْتَمَدْتُ فِى غِذَائِى ، عَلَى حَيَوَانٍ وَسَمَكَةٍ ، اصْطَدْتُهَا ، وَعَلَى الْفَوَاكِهِ الْمُجَفَّفَةِ ، وَبَعْضِ مَا حَمَلْتُهُ مَعِى مِنَ السَّفِينَةِ . وَاشْتَغَلْتُ فِى تِلْكَ الأَثْنَاءِ ، بِتَوْسِيعِ مَخْزَنِى ، وَبِعَمَلِ بَعْضِ السِّلاَلِ ، الَّتِى كُنْتُ أَسْتَعْمِلُ بَعْضَهَا فِى حَمْلِ التُّرَابِ ، مِنَ الْكَهْفِ إِلَى خَارِجِهِ وَبَعْضَهَا الآخَرَ فِى حِفْظِ غِذَائِى .

وَكَانَتْ تَنْقُصُنِى بَعْضُ الآنِيَةِ ، لِحِفْظِ

السوائل ؛ فلم يكن عندي سوى قدر واحدة كبيرة ؛ فعولت على عمل آنية من طين ، رأيت أنه يصلح لهذا الغرض ، كشفته في مكان قريب . وبعد جهد شديد ، وعمل متواصل ، استطعت أن أعمل قدرين كبيرين ، وبعض الفناجين والأباريق ؛ وقد جمعت كل ما صنعته من الآنية وأحطته بالنار من كل جانب ، لتحميصه . وسهرت ليلة كاملة ، أرعى النار ، حتى لا تخمد ؛ وفي الصباح ، كان لدي آنية خزفية جيدة ، وإن كانت غير جميلة . ولقد كان سروري بها كبيراً ، حتى لقد بدأت باستعمالها فوراً بدون أن أنتظر حتى تبرد .

وحدث ذات يوم ؛ أن كنت أقلب ذخيرتي ، فعثرت على كيس صغير ، كان به بقية من قمح ؛ فأخذته ، وقذفت ما بداخله خارج خيمتي ، لأستفيد به في شيء آخر ، وانقضى موسم المطر وأشد ما كان دهشي ، عندما لاحظت أن بعض عيدان صغيرة خضراء قد نبتت بجانب خيمتي ؛ وازداد دهشي ، عندما تحقق لدي بعد وقت قصير ، أن العيدان لم تكن إلا قمحاً وحرت بادىء الأمر ، كيف تسرب القمح إلى ذلك المكان حتى لقد أخذت

واستطعت ان اعمل قدرين وبعض الآنية

أتفقد ذلك الجانب من الجزيرة ، عساني أعثر على نبات القمح ولكني تذكرت ، بعد ذلك الكيس ، وما كان به من بقايا القمح ، الذي قذفت به إلى الأرض عفواً .

وقد احتفظت بمحصول تلك السنابل القليلة ، وأعدت زرعه ؛ وهكذا كنت أزرع ، كل موسم ، محصول الموسم السابق حتى أصبح لدي حقل كبير من القمح ، كان كافياً لإمدادي بما

أُريدُ مِنَ الخُبْزِ .

وَلَمْ يَغِبْ عَنْ ذِهْنِي ، طُولَ تِلْكَ الْمُدَّةِ ، الْجَزَائِرُ ، الْمُحِيطَةُ بِي ، وَالَّتِي رَأَيْتُهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ ، لِأَنِّي كُنْتُ أَعْتَقِدُ ، أَنِّي إِذَا وَصَلْتُ إِلَيْهَا ، قَدْ أَجِدُ مِنْهَا سَبِيلًا لِلنَّجَاةِ وَكَانَ ذٰلِكَ بَاعِثًا عَلَى التَّفْكِيرِ ، فِي عَمَلِ قَارِبٍ ، كَالْقَوَارِبِ الَّتِي يَصْنَعُهَا الْهُنُودُ مِنْ جُذُوعِ الْأَشْجَارِ . وَتَمَلَّكَتْنِي الْفِكْرَةُ ، بِدُونِ أَنْ أُقَدِّرَ الْمَصَاعِبَ ، الَّتِي تَكْتَنِفُ تَنْفِيذَهَا . وَكُنْتُ ، كُلَّمَا سَأَلْتُ نَفْسِي : « وَلٰكِنْ كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُلَ الْقَارِبَ إِلَى الْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ يَتِمَّ صُنْعُهُ ، وَلَيْسَ مَعِي أَحَدٌ يُعِينُنِي عَلَى ذٰلِكَ ؟ » أَجَبْتُ نَفْسِي : « دَعْنِي أَصْنَعُ الْقَارِبَ أَوَّلًا ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ لَنْ أَعْدَمَ وَسِيلَةً ، أَنْقُلُهُ بِهَا إِلَى الْبَحْرِ . »

وَاخْتَرْتُ شَجَرَةً كَبِيرَةً ، قَضَيْتُ فِي قَطْعِهَا عِشْرِينَ يَوْمًا ؛ وَفِي فَصْلِ الْأَغْصَانِ عَنْهَا ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا أُخْرَى !! وَأَخَذْتُ أُوَاصِلُ الْعَمَلَ حَتَّى جَعَلْتُ مِنَ الْجِذْعِ ، قَارِبًا جَمِيلًا ، يَسَعُنِي وَذَخِيرَتِي وَبَعْدَ ذٰلِكَ بَدَأْتُ أُفَكِّرُ فِي نَقْلِهِ إِلَى الْبَحْرِ . فَخَطَرَ لِي أَنْ أَحْفِرَ مَجْرًى يَصِلُ الْمَاءَ إِلَى مَكَانِ الْقَارِبِ . وَبَدَأْتُ فِي ذٰلِكَ فِعْلًا ، وَلٰكِنْ تَبَيَّنَ لِي بَعْدَ قَلِيلٍ ، أَنَّ ذٰلِكَ الْعَمَلَ ، يَحْتَاجُ لِتَنْفِيذِهِ ، عَشْرَ سِنِينَ عَلَى الْأَقَلِّ ؛ فَأَقْلَعْتُ عَنِ الْمَشْرُوعِ أَسِفًا.

مَرَّتْ بَعْدَ ذٰلِكَ ، بِضْعَةُ أَيَّامٍ ، قَضَيْتُهَا فِي كَشْفِ الْجَزِيرَةِ ، فِي نَوَاحٍ أُخْرَى . وَذَاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَمَا كُنْتُ أَسِيرُ عَلَى السَّاحِلِ ، لَاحَظْتُ أَثَرًا لِقَدَمِ إِنْسَانٍ فِي الرَّمْلِ فَوَقَفْتُ مَبْهُوتًا لَا أَكَادُ أُصَدِّقُ مَا أَرَى ! وَاسْتَوْلَى عَلَيَّ فَزَعٌ شَدِيدٌ ، لَمْ

واخذت شجرة كبيرة وقضيت في قطعها عشرين يوما

أَقِرَّ عَلَى كِيَانِهِ وَجَعَلْتُ أَتْلَفَّتُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ حِينًا ، وَأَنْظُرُ إِلَى الْأَثَرِ ، حِينًا

آخَرَ ؛ كَأَنِّى فِى حُلْمٍ مُخِيفٍ ! !

وَأَخِيراً عُدْتُ إِلَى خَيْمَتِى ؛ وَبَلَغَ بِى الرُّعْبُ ، أَنْ كُنْتُ أَنْظُرُ خَلْفِى ، بَيْنَ كُلِّ خُطْوَةٍ وَأُخْرَى وَكُنْتُ أُتَصَوِّرُ الشَّجَرَةَ مِنْ بُعْدٍ ، كَأَنَّهَا إِنْسَانٌ مُنْحَنٍ بِصٌ وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى خَيْمَتِى ، أَخَذْتُ فِى تَقْوِيَةِ السُّورِ ، ثُمَّ فَتَحْتُ فِيهِ سَبْعَ فَتَحَاتٍ ؛ جَعَلْتُ فِى كُلٍّ مِنْهَا بُنْدُقِيَّةً ، مُصَوَّبَةً إِلَى الْخَارِجِ ! حَتَّى أَسْتَطِيعَ الدِّفَاعَ عَنْ نَفْسِى عِنْدَ الْحَاجَةِ .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، زَالَ عَنِّى أَثَرُ الْخَوْفِ ؛ وَوَاصَلْتُ تَجْوَالِى بِالْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْجَزِيرَةِ . وَأَبْصَرْتُ ، ذَاتَ يَوْمٍ ، عَلَى بُعْدٍ ، شَيْئاً يُشْبِهُ الْقَارِبَ الصَّغِيرَ ، فَاتَّجَهْتُ نَحْوَهُ ، وَلَمْ أَكَدْ أَسِيرُ قَلِيلاً ، حَتَّى كَانَ الْقَارِبُ قَدِ اخْتَفَى

وَلَمَّا اقْتَرَبْتُ مِنَ الشَّاطِىءِ ، رَأَيْتُ أَكْوَاماً مِنْ عِظَامٍ بَشَرِيَّةٍ مُبَعْثَرَةٍ فِى كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَاحَظْتُ أَثَراً لِنَارٍ حَدِيثَةٍ ؛ وَحَوْلَهَا دَائِرَةٌ ، مَحْفُورَةٌ فِى الْأَرْضِ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْجَزَائِرَ الْقَرِيبَةَ ، لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ آهِلَةً بِالْمُتَوَحِّشِينَ ؛ وَأَنَّهُمْ يَجِيئُونَ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ مِنْ جَزِيرَتِى ، لِيُقِيمُوا أَفْرَاحَهُمْ وَلَيْأَ كُلُوا ضَحَايَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ ، كَمَا تَقْضِى بِذَلِكَ عَادَاتُهُمْ ، وَأَنَّ الْأَثَرَ الَّذِى رَأَيْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَثَراً مِنْ آثَارِ هَؤُلَاءِ الْمُتَوَحِّشِينَ ! فَوَقَفْتُ كَالْمَحْمُومِ ، لَا أَكَادُ أَعِى شَيْئاً ، وَعَجِبْتُ كَيْفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ ، قَدْ يَنْحَطُّ إِلَى ذَلِكَ الدَّرْكِ السَّافِلِ ، وَعُدْتُ إِلَى خَيْمَتِى ، وَأَنَا فِى أَشَدِّ الِاضْطِرَابِ ، لِمَا رَأَيْتُ .

وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَوَحِّشِينَ يَرْقُصُونَ رَقْصاً عَجِيباً

وَفِى صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِى ، عَثَرْتُ عَلَى مَكَانٍ قُرْبَ الشَّاطِىءِ ! أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى مِنْهُ كُلَّ مَا يَجْرِى فِيهِ ، مِنْ دُونِ أَنْ يَرَانِى أَحَدٌ ! وَجَعَلْتُ أَتَرَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ ، عَسَانِى أَظْفَرُ مَرَّةً بِرُؤْيَةِ إِحْدَى تِلْكَ الْوَلَائِمِ الْبَشَرِيَّةِ الْفَظِيعَةِ . وَانْقَضَتْ أَيَّامٌ بِدُونِ أَنْ يَحْضُرَ أَحَدٌ ؛ وَفِى صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ ، رَأَيْتُ نَاراً تَشْتَعِلُ قُرْبَ الشَّاطِىءِ ؛ فَأَسْرَعْتُ إِلَى

تَعَجُّبِي ، فشَاهَدْتُ تِسْعَةَ رِجَالٍ جَالِسِينَ فِي دَائِرَةٍ حَوْلَ النَّارِ ؛ وَلَمْ يكنِ الجوُّ بَارِداً ، بَلْ كَانَ ، عَلَى الْعَكْسِ ، شَدِيدَ الْحَرَارَةِ فَلَمْ تَكُنِ النارُ لِلاسْتِدْفَاءِ إِذَنْ ؛ بَلْ كَانَتْ لِشَيِّ الضَّحَايَا بِدُونِ شَكٍّ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، أَخَذَ هؤُلاءِ الْمُتَوَحِّشُونَ ، يَرْقُصُونَ رَقْصاً غَرِيباً وَيَصِيحُونَ صِيَاحاً مُزْعِجاً وَتَرَكْتُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَقَصَدْتُ إِلَى خَيْمَتِي ، لأُحْضِرَ بُنْدُقِي ، بَعْدَ أَنْ صَمَّمْتُ عَلَى الْفَتْكِ بِهِمْ مَا اسْتَطَعْتُ . وَلَمَّا عُدْتُ ، وَجَدْتُهُمْ قَدْ غَادَرُوا الْمَكَانَ ، فَأَسِفْتُ أَشَدَّ الأَسَفِ ، عَلَى ضَيَاعِ تِلْكَ الْفُرْصَةِ ؛ وَأَخَذْتُ أَتَرَقَّبُ الزِّيَارَةَ الثَّانِيَةَ .

وَبَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ ، شَاهَدْتُ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ ، ثَلاثِينَ رَجُلاً من هؤُلاءِ الْمُتَوَحِّشِينَ ؛ وَقَدْ جَلَسُوا بِنَفْسِ النِّظَامِ السَّابِقِ ، حَوْلَ النَّارِ . ثُمَّ قَامَ أَحَدُهُمْ ، وَقَصَدَ أَحَدَ الْقَوَارِبِ ، الَّتِي كَانَتْ رَاسِيَةً بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ ، وَعَادَ وَمَعَهُ رَجُلانِ ، مَوْثُوقَةٌ أَيْدِيهِما وَأَرْجُلُهُما . ثُمَّ تَرَكَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ ، وَسَاقَ الآخَرَ ، إِلَى حَيْثُ تَشْتَعِلُ النارُ . ثُمَّ هَوَى عَلَيْهِ ، بِفَأْسٍ ثَقِيلَةٍ من الْخَشَبِ ، مَزَّقَتْهُ تَمْزِيقاً . وَبَيْنَمَا الْقَوْمُ مَشْغُولُونَ بِإِعْدَادِ تِلْكَ الضَّحِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ، فَكَّ الأَسِيرُ الآخَرُ وَثَاقَهُ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَجْرِي عَلَى الرِّمَالِ كَالسَّهْمِ ؛ فِي اتِّجَاهِ الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ مُخْتَبِئاً فِيهِ . وَانْدَفَعَ عَلَى أَثَرِهِ ثَلاثَةٌ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ اللَّحَاقَ بِهِ وَالْقَبْضَ عَلَيْهِ ؛ وَتَسَرَّبَ إِلَيَّ الْخَوْفُ بَادِئَ الأَمْرِ وَلَكِنِّي تَشَجَّعْتُ وَعَوَّلْتُ عَلَى إِنْقَاذِ الأَسِيرِ الْهَارِبِ من أَنْيَابِهِمْ !

وَاعْتَرَضَ الأَسِيرَ ، وَهُوَ يَعْدُو ، نَهْرٌ صَغِيرٌ ؛ فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهِ ، وَسَبَحَ إِلَى الشَّاطِئِ الآخَرِ ؛ أَمَّا الثَّلاثَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ ، فَقَدْ تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَسَبَحَ الاثْنَانِ الآخَرَانِ ، خَلْفَ الْهَارِبِ ، الَّذِي كَانَ فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ ، قَدْ وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنِّي فَانْتَهَزْتُ الْفُرْصَةَ وَاعْتَرَضْتُ سَبِيلَ الرَّجُلَيْنِ وَهُمَا يَعْدُوَانِ خَلْفَ الْهَارِبِ ، وَهَوَيْتُ بِمُؤَخَّرِ بُنْدُقِيَّتِي عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمَا ، فَأَرْدَيْتُهُ قَتِيلاً ؛ وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ الآخَرِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَتَمَكَّنْ ، فَاطْلَقْتُ عَلَيْهِ بُنْدُقِيَّتِي ، فَسَقَطَ لِسَاعَتِهِ . وَرَأَى الرَّجُلُ الْهَارِبُ كُلَّ ذَلِكَ ، فَوَقَفَ كَالصَّنَمِ ؛ لا تَبْدُو مِنْهُ حَرَكَةٌ ، وَلا يَنْبَعِثُ مِنْهُ صَوْتٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ ، وَطَمْأَنْتُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، بِالإِشَارَةِ ، وَبَعْدَ جَهْدٍ ، أَمِنَ جَانِبِي وَكَانَ يَخْشَى أَشَدَّ الْخَوْفِ ، أَنْ أَقْتُلَهُ لأَصْنَعَ بِهِ مِثْلَ مَا صَنَعَ بِزَمِيلِهِ الْمُتَوَحِّشُونَ

يتبع